جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

موقف الإمام علي (عليه السلام) من إشكالية الإنسان والسلطة

دراسة تاريخية فكرية - سياسية

أياد كاظم راجح*
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2019/2/25
تاريخ التعديل : --
قبول النشر: 2019 /3/19
متوفر على النت:2019/7/4

الكلمات المفتاحية :
الامام علي (ع)
الانسان والسلطة

الملخص

لا شك في شغلت اشكالية الانسان والسلطة قد شغلت عددا كبيرا من كبار العلماء والمفكرين والفلاسفة والباحثين في المجالات المختلفة ، وفي هذا البحث يحاول الباحث ان يتعرف موقف الامام علي بن أبي طالب عليه السلام من هذه الاشكالية الخطيرة بوصفه خليفة قد رأسَ الدولة العربية الاسلامية ولو لمدة قصيرة (35-40هـ) فضلا عن ما تركه من تراث فكري كبير شمل جوانب متعددة من الحياة الفكرية في عصره .

يفترض الباحث في هذه الدراسة أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد أسهم إسهاما فاعلا في تقديم الحلول لإشكالية الانسان والسلطة المرتبطة بمفهوم الدولة وبالفلسفة السياسية على وفق منهج ثقافي خاص خلاصته محاولة تغيير مفهوم السلطة لدى الرعية عما كان سائدا قبله وتدعيم مفهوم الإنسان لدى السلطة الأمر الذي من شأنه ردم الهوة بين الطرفين ومد جسور التواصل عن طريق إعادة فهم كل منهما للآخر.

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

المقدمة

تعد العلاقة بين الإنسان والسلطة واحدة من أهم الإشكاليات المرتبطة بمفهوم الدولة وبالفلسفة السياسية وقد اختلف بشأنها الفلاسفة ونظّر لها المفكرون في خضم محاولاتهم وجهودهم لوضع الحلول لمشكلة سوء استخدام السلطة التي تسببت عبر العصور في شيوع الفساد وسفك الدماء وهتك الأعراض والإساءة إلى المقدسات وضياع المصالح العامة والخاصة .

وفي هذا البحث محاولة لتتبع موقف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من هذه الإشكالية لما عرف عنه من فهم عميق لطبائع الأمور وأسرار النفس الإنسانية وسنن الله في هذا الكون ولما تركه عليه السلام من تراث فكري هائل تمثل بخطبه ورسائله وقصار حكمه التي نقلها عنه المؤرخون والمتكلمون وغيرهم ، فهي منتشرة مبثوثة في مختلف مصادر التراث العربي الإسلامي فضلا عما جمع منها في بعض الكتب ولاسيما كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي، وقد ضم هذا التراث تنظيرا ناضجا لمعالجة مشكلة سوء استخدام السلطة .

*الناشر الرئيسي : E-mail : Iyad Kazem@gmail.com

يفترض الباحث أن عليا عليه السلام قد أسهم إسهاما فاعلا في تقديم الحلول لهذه الإشكالية وفق منهج ثقافي خاص خلاصته محاولة تغيير مفهوم السلطة لدى الرعية عما كان سائدا قبله وتدعيم مفهوم الإنسان لدى السلطة الأمر الذي من شأنه ردم الهوة بين الطرفين ومد جسور التواصل عن طريق إعادة فهم كل منهما للآخر.

يتكون البحث من مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة ، تضمن المدخل لهذه الدراسة توضيحا لبعض الإشكاليات الاصطلاحية المرتبطة بعنوان البحث مع بيان الاسباب التاريخية لهذه الاشكاليات ، أما في المبحث الأول فقد حاول الباحث تتبع أهم الخطوات التي اتبعها الامام علي عليه السلام في محاولته تغيير مفهوم السلطة عند الرعية ، فيما جاء المبحث الثاني ليبين المحور الثاني الذي تدور حوله الدراسة والمتمثل بعرض خطواته عليه السلام في تدعيم مفهوم الانسان لدى السلطة وتحديد المكانة الحقيقية للرعية وابراز دورها الفاعل في الحياة عموما وفي منظومة الدولة خصوصا ، وختم البحث بعدد من الاستنتاجات التي توصلت اليها هذه الدراسة.

مدخل :

ادى النقد المعاصر لكتب الآداب السلطانية من قبيل : التاج في اخلاق الملوك للجاحظ (255هـ) وعيون الاخبار لابن قتيبة (276هـ) والآداب السلطانية للماوردي (ت450هـ) ، الى بيان امر هام خلاصته أن التجارب الكسروية والهرقلية في الحكم قد نفذت -عن طريق هذه الكتب- الى التجربة السياسية العربية الاسلامية الواقعية حتى استحسن الخلفاء الامويون والعباسيون وولاتهم أن يسيروا في الناس سيرة الأكاسرة الفرس والهراقلة الروم في موقفهم من الرعية [1]. لكن ما يحدثنا به التاريخ هو ان خلفاء العصر الأول من تاريخ الاسلام (العصر الراشدي) كانت لهم تجربتهم الخاصة والجديدة في الحكم ولاسيما في مجال التعاطي مع الرعية لا تشابه بحال من الأحوال ما نقلته كتب الآداب السلطانية عن تجارب الحكم الساساني واستبداده ، وقد سعت الى حد ما الى التأسي بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله على الرغم من المطاعن الكبيرة التي تعرضت لها سياسة الخلفاء الثلاثة الأوائل بلا استثناء[2] ولاسيما الخليفة الثالث عثمان بن عفان (24-35هـ) الذي شهد عهده ابتعادا خطيرا عن مفهوم الخلافة الراشدة تمثل بتسلط بني عمومته الأمويين على مقدرات الأمة الاسلامية واطلاق ايديهم في بيت المال حتى قال قائلهم:" **السواد بستان قريش فما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا...**"[3]. واذا ما حكمنا على التجربة السابقة على عهد الإمام علي عليه السلام بانها لم تكن تجربة مثالية في العلاقة بين الانسان والسلطة بل شابها منذ الأيام الأولى لوفاة النبي صلى الله عليه وآله مظالم خطيرة لعدد من ابناء الأمة الاسلامية ، فيحق لنا عندئذ أن نصف موقف الإمام علي عليه السلام من إشكالية الانسان والسلطة بانه موقف تصحيحي لا يفتقر الى السمة التغييرية الاصلاحية وقد شكل تجربة فريدة في هذا المجال كانت نهايتها على يد معاوية بن أبي سفيان بدايةً للتأسيس للظاهرة الكسروية في التجربة العربية الاسلامية اللاحقة بتواطؤ واضح من منظري الآداب السلطانية فيما بعد ، كما بينا آنفا ، تساندها كتب السياسة الشرعية من امثال كتب الغزالي وابن تيمية التي استلهمت نظرياتها في الإمامة من الواقع السياسي المعاش على علاته بل سعت الى تكريسه [4] وفي احسن الأحوال كان منظري السياسة الشرعية يعودون الى مرحلة صدر الاسلام بوصفها مرحلة تاريخية قياسية وعدها اصلا تشريعيا : " **تحتوي أخبار السلف المقتدى بهم وقد برز ذلك في تفاصيل الفقه السياسي ولا سيما ما تعلق بالبيعة والجهاد وقسمة الأموال...** " [5]، غير

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

مكترثين بانهم بمنهجهم السلفي هذا انما يقررون الواقع السياسي على علاته حتى اننا نجد ان مفهوم الراعي والرعية الوارد في الحديث النبوي الشهير: **" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..."**[6] ، قد فقد الكثير من محتواه حتى عده بعض الباحثين المعاصرين مفهوما مغايرا تماما لمفهوم المواطنة المعاصر لما يحمله من طابع سلطوي وتهميش لدور الرعية ، وقد ساعد في تأكيد ذلك ان المفهوم الاوربي للرعية يمثل علاقة بين السلطة والرعية دون مستوى المواطنة فالرعايا هم سكان المستعمرات الخاضعة للدولة الرومانية الذين لا يتمتعون بحقوق المواطنة [7].

والحقيقة أن الاساءة المتأخرة لمفهوم الرعية لم تقف عائقا أمام الباحث لاستعمال هذا التعبير في هذا البحث نظرا لان الانتقادات الموجهة له لم تأخذ بعين الاعتبار الطبيعة المختلفة للمفهوم في أصل الحديث النبوي[8] أو في ما خلفه علي بن أبي طالب عليه السلام من تراث في هذا المجال . لكننا استعملنا في العنوان وفي كثير من مفاصل البحث أيضا مفردة الانسان امعانا في دعم فكرة البحث الاساسية التي تتلخص بأثر الامام علي عليه السلام في أنسنة الحياة السياسية في عصره .

وإذا كان معنى الانسان على قدر من الوضوح اليوم فقد يكون معنى السلطة المشار اليه في هذا البحث به حاجة الى التوضيح :

تعرف السلطة بأنها : **" المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ ، أو الهيئة الاجتماعية القادرة على فرض إرادتها على الارادات الأخرى ... وتمثل الدولة السلطة التي لا تعلوها سلطة في الكيان السياسي ويتجسد ذلك من خلال امتلاك الدولة لسمة السيادة ..."** [9].

وبما أننا اليوم أمام تعدد في أنواع السلطات المعروفة في الدولة المعاصرة بين تشريعية وتنفيذية وقضائية فلابد لنا ان نبين أن مقصودنا في هذا البحث هو سلطة الدولة بمعناها الاعم والشامل وهو اعم من ان يتحدد بنوع واحد من الأنواع المذكورة آنفا لكنه لا يشمل بطبيعة الحال هيئات اخرى اعتبارية عدت ايضا في السلطات كالسلطة الروحية ، والسلطات الاجتماعية كالأبوية والعشائرية، والسلطة السياسية غير الرسمية .

وتُعَدُ الرعية (الشعب) عنصرا من عناصر الدولة الثلاثة الى جانب الارض والسلطة الامر الذي يوجد نوعا من التداخل بين مفهومي الإنسان والدولة بوصف الأول – أي الإنسان – جزء من الدولة ؛ لذا تجنب الباحث استعمال تعبير الدولة وارتأى ان يستعمل تعبير السلطة بدلا عنه .

ولولا هذا المانع لما وجد الباحث ضيرا في استعمال تعبير الدولة دون السلطة ، أما القول بان مصطلح الدولة بمعناه المعاصر لم يكن متداولا في تلك العصور فلا معنى له ما دام مفهوم الدولة دون لفظها موجود منذ القدم وسابق على التنظير له كما يقرر عبد الله العروي[10] . أما مفردة الحكومة التي تعني اليوم مجموعة الاشخاص أصحاب السلطة والممارسين لها نيابة عن الدولة[11] فقد وردت في مصادر التاريخ الاسلامي بمعنى آخر مرادف للتحكيم ولاسيما في قضية التحكيم بعد معركة صفين.

ان المفارقة بين مفاهيم السلطة والرعية والعلاقة بينهما عند الإمام علي عليه السلام من جهة وبين المفاهيم نفسها في التجارب السابقة والتجارب اللاحقة سواء في دولة الاسلام او في غيرها من جهة أخرى يدعو الى الافتراض أن الامام عليا عليه السلام قد استعمل منهجا تغييرا للمفاهيم كوسيلة لتغيير كثير من السلوكيات السلطوية اتجاه الرعية وبعض السلوكيات الشعبية اتجاه السلطة وهذا ما يشهد به تراثه الفكري العظيم ، وسنوضحه في المبحثين الآتيين :

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

المبحث الأول : تغيير مفهوم السلطة عند الرعية

حرص الإمام علي عليه السلام على أن تكون للسلطة في عهده صورة أخرى غير الصورة التقليدية التي رسختها التجارب السابقة في أذهان الرعية ، يلاحظ ذلك مما ورد في كتبه إلى بعض ولاته وعماله ، جاء في عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر ما نصه : " **ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور . وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده** ... " [12].

ينطوي النص السابق على تنبيه هام من أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولاته بضرورة أن يتحلى الوالي بالقدرة على تخيل صورته عند الرعية اعتمادا على معيار صورة الولاة السابقين عنده لما كان خارج السلطة معارضا أو مسالما ، ثم يسعى إلى أن تكون صورته مرضية عند الناس لا ان يكون عليهم: "**سبعا ضاريا**". ويعد الصورة المرضية عند الناس من علامات صلاح الوالي وصلاح سلطته . بل أن صلاح سيرة الوالي وحسن صورته بين الناس من دواعي رفع الحقد من قلوبهم وإلغاء العداوة بين الناس والسلطة . جاء في العهد نفسه قوله عليه السلام : " **أطلق عن الناس عقدة كل حقد . واقطع عنك سبب كل وتر** " [13].

ومن بين المفاهيم التي حاول الإمام علي أن يشيعها بين الناس لتغيير مفهوم السلطة لديهم إسهاما في حل إشكالية الإنسان والسلطة ما يأتي :

أولا - ضرورة السلطة : لم يكن ظهور الخوارج في خلافة الإمام علي عليه السلام (35-40هـ) وتمردهم على دولته بعد معركة صفين واضطرار الإمام علي إلى الموافقة على خيار التحكيم[14] ، لم يكن ذلك بداية لمشكلة أمنية وسياسية رافقت الدولة الإسلامية حتى زمن متأخر فحسب ؛ بل كان بمثابة تهديد فكري خطير واجه التنظير السياسي الإسلامي في أدواره الأولى بما أثاره من إشكالية فكرية - سياسية كبرى تمثلت بالتساؤل عن ضرورة السلطة - قبل شرعيتها- انطلاقا من مقولة التسليم لله رب العالمين وهي مقولة أساسية في العقيدة الإسلامية[15] .

لقد تردد صدى هذه الإشكالية في مسجد الكوفة حينما نادى احد الخوارج وعلي يخطب على المنبر: " **لا حكم إلا لله يا علي** " . ومن الواضح أن عليا عليه السلام قد أدرك خطورة هذا الطرح الذي ينم عن فكر سطحي ، وينطوي على أمكانية إثارة الفوضى في المجتمع الإسلامي ويعد تهديدا حقيقيا لمؤسسة الخلافة وسلطتها النافذة في الأمة الإسلامية منذ ما يقارب الثمانية والعشرين عاما ؛ لذلك جاء رده عليه السلام سريعا على دعوى الخوارج بان لا حكم إلا لله فقال عليه السلام : " **كلمة حق يراد بها باطل ، نعم انه لا حكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة ، ولابد للناس من أمير برٍّ أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها الأجل ويُجمع بها الفيء ، ويُقاتَل بها العدو، وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوي ، حتى يستريح بر ويُستراح من فاجر...**" [16] .

يشير هذا النص إلى أن السلطة عند علي عليه السلام ضرورية ولابد منها ولا يتقاطع مع ضرورتها الإيمان بوجود الله القادر المدبر بل هي سبب من أسباب تنفيذ إرادته تعالى في هذا العالم سواء أكانت سلطة حق أم سلطة باطل، من دون أن يكون مقصوده عليه السلام القبول بالسلطة السيئة أو شرعنتها[17].

ثانيا – غاية السلطة : يتضح من بعض نصوص الإمام علي عليه السلام انه كان يرى في السلطة أمرا عظيم الخطر على الإنسان المتصدي للرئاسة أو المنصب وهي شر

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

مطلق ما لم يقترن بشرط معين ، روي عن ابن عباس انه دخل على علي عليه السلام بذي قار وهو يخصف بنعله فسأله الإمام عن قيمة النعل ثم قال : " ... **والله لَهِيَ أَحبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمرَتِكُم إِلّا أن أُقِيمَ حقاً أو أدفَعَ باطلاً** " [18] . أن الشرط الأساسي للقبول بتولي السلطة عند علي عليه السلام كما يتضح من النص هو أن تكون أداة لإقامة الحق أو دفع الباطل وبغير ذلك لا يكون لها قيمة تذكر بل تكون بطبيعة الحال مدعاة لاستحقاق العقوبة الإلهية حينما تلبس بظلم العباد . ومن الواضح هنا أن غاية السلطة عند علي بن أبي طالب هي غاية إنسانية بالدرجة الأولى ما دامت مشروطة بإقامة الحق ورفع المظالم .

ثالثا – أخلاقية السلطة : تعد الأخلاق سمة من سمات السلطة عند علي عليه السلام بل هي مقوم من مقوماتها ومقياس أخلاقية السلطة هو أسلوب تعاطيها مع الرعية وبين أيدينا نص يشرح فيه الإمام علي عليه السلام لأحد ولاته كيفية جباية أموال الصدقات من الناس ، جاء فيه : " ... **انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّه وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه ، ولَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً ولَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْه كَارِهاً ، ولَا تَأْخُذَنَّ مِنْه أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّه فِي مَالِه ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ والْوَقَارِ ، حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ، ولَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللَّه ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّه وخَلِيفَتُه ، لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّه فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَهَلْ لِلَّه فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوه إِلَى وَلِيِّه ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعْه - وإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَه ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَه أَوْ تُوعِدَه أَوْ تَعْسِفَه أَوْ تُرْهِقَه فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، فَإِنْ كَانَ لَه مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِه فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَه فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْه ولَا عَنِيفٍ بِه ولَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً ولَا تُفْزِعَنَّهَا ولَا تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا ، واصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْه فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَه ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْه فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَه فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيه وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّه فِي مَالِه فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّه مِنْه فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْه ...** " [19] .

الملاحظ في هذا النص أنه يركز على الجوهر الأخلاقي للسلطة على العكس مما تستبطنه السلطات عبر التاريخ أوتستظهره من سوء المعاملة مع الرعية وانتهاك حقوق الإنسان وكرامته ، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية :

1- عدم الترويع واستعمال العنف .
2- نزول عمال الجباية بعيدا عن بيوت الناس تجنبا لاي هتك للاعراض .
3- تحلي عامل الجباية بالسكينة والوقار.
4- الابتداء بالسلام والتحية .
5- استعمال الأسلوب اللين في الكلام .
6- الاستئذان من صاحب الماشية والإبل قبل الدخول إلى أماكنها فحق صاحبها فيها أكثر من حق الدولة .
7- تجنب إكراه الناس على الدفع .
8- تجنب إنفار الدواب والماشية .

رابعا – السلطة ليست مغنما : لقد شاعت ثقافة عد السلطة مغنما وطعمة منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان (24-35هـ) كما بينا سابقا وقد وصف أمير المؤمنين هذه الظاهرة أيام عثمان بقوله : " ... **إلى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْه ، بَيْنَ نَثِيلِه ومُعْتَلَفِه ، وقَامَ مَعَه بَنُو أَبِيه يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّه ، خِضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْه فَتْلُه وأَجْهَزَ عَلَيْه عَمَلُه ، وكَبَتْ بِه بِطْنَتُه** " [20] . وقد كرس معاوية بن أبي سفيان هذه الثقافة في

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

ولايته على بلاد الشام وهذا ما يظهر جليا من استخدام الولايات لشراء ذمم الناس وتجنيدهم في دعم صراعه مع الإمام علي عليه السلام ، ويأتي مثال عمرو بن العاص ومنحه مصر طعمة مقابل تأييده لمعاوية [21] مصداقا لهذه الثقافة الباطلة التي لا يقرها الإمام علي ، بل انه عليه السلام سعى لإشاعة مفهوم جديد مفاده أن السلطة تكليف شرعي وأمانة في عنق الوالي وليست مغنما له ولخاصته وقراباته وقد ابتدأ بنفسه مطبقا هذا المبدأ ، قال ابن الأثير[22] : " **إن عقيل بن أبي طالب لزمه دين فقدم على علي بن أبي طالب الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل فقال عقيل ما هو الا ما أرى قال لا قال فتقضى ديني قال وكم دينك قال أربعون ألفا قال ما هي عندي ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة ألف فأدفعه إليك فقال له عقيل بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك فقال أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها قال فإني آت معاوية فأذن له فأتى معاوية فقال له يا أبا يزيد كيف تركت عليها وأصحابه قال كأنهم أصحاب محمد الا أني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وكأنك وأصحابك أبو سفيان وأصحابه الا أني لم أر أبا سفيان فيكم ... وأمر له معاوية بخمسين ألف درهم فأخذها ورجع** " .

لقد حاول الإمام علي عليه السلام إشاعة ثقافة احترام المال العام بين الناس ولاسيما عند ولاته وعماله ، فقد جاء في كتابه إلى مصقلة بن هبيرة[23] وقد بلغه أنه يفرق ويهب أموال أردشير خرة[24] وكان واليه عليها ما نصه :" **أما بعد ، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدقه أنك تقسم فئ المسلمين في قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء ، كما تقسم الجوز ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لأفتش عن ذلك تفتيشا شافيا ، فإن وجدته حقا لتجدن بنفسك علي هوانا ، فلا تكونن من الخاسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** " [25] .

وكتب علي السلام إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان يقول : " **وإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ولَكِنَّه فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ - وأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ - لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ - ولَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ - وفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّه - عَزَّوجَلَّ وأَنْتَ مِنْ خُزَّانِه حَتَّى تُسَلِّمَه إِلَيَّ - ولَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ والسَّلَامُ** " .

خامسا – أبوية السلطة : تتضح سمة الأبوية في سلطة الإمام علي عليه السلام من خلال ردود أفعالها تجاه التمردات التي واجهتها من بعض رعاياها فلما أعلن الخوارج معارضتهم لسلطة علي بل تكفيرها وعدم الاعتراف بها أعلن علي عليه السلام بالمقابل رده على موقف الخوارج هذا قائلا لهم : " **لَكُم عِنْدَنا ثَلاث : لا نَمْنَعَكُم صَلاةً في هَذا المَسجِد ، ولا نَمنَعَكُم نَصيبَكُمْ في هَذا الفَيء ما كانَتْ أَيديكُم في أَيدينا ، ولا نُقاتِلكُم حَتى تُقاتِلونا** " [26] . لم يكن رد الإمام علي في هذا النص ردا ارتجاليا متسرعا ولا متجاوزا لأحكام الشريعة المتبعة في دولته على الرغم من خطورة ذلك الإعلان الخارجي ومساسه به عليه السلام شخصيا، بل تضمن رد فعله الإقرار لمعارضيه الخوارج بحقهم الديني وحقوقهم المالية ما داموا يشاركون إخوانهم في الجهاد والكف عن مقاتلتهم ما كفوا سيوفهم عن المسلمين ، وهذا من الإنصاف بحق الرعية بل من أدلة الشعور بأبوية السلطة تجاه الرعية .

المبحث الثاني : تدعيم مفهوم الإنسان لدى السلطة .

تضمنت خطب الإمام علي عليه السلام ومكاتباته لعماله اشتغالا على تدعيم مفهوم الإنسان لدى السلطة

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

الحاكمة ليأخذ المفهوم جوهره الإنساني المنشود كاملا غير منقوص ويتضح ذلك من خلال المحاور الآتية:

أولا – طبيعة العلاقة بين الإنسان والسلطة : يلفت الانتباه نص هام للإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر يحدد فيه العلاقة بين الحاكم والرعية قائلا : " ... **وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ** ... " [27]. فالعلاقة هنا ليست من قبيل العلاقات القائمة على الغلبة أو المصلحية البراغماتية كما تبدو في كثير من التنظيرات السياسية القديمة والحديثة بل تقوم أولا على المشاعر والأحاسيس العاطفية ، إذ لابد للسلطة ممثلة بالحكام أن تشعر بالرحمة تجاه الرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ثم يذكر الإمام علي عليه السلام في الموضع نفسه أساس استحقاق الرعية الرحمة والمحبة واللطف من الحاكم كما يبدو من قوله عليه السلام : "... **فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ويُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ والْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّه مِنْ عَفْوِه وصَفْحِه** ..." . فالأساس الذي استحقت به الرعية الرحمة والمحبة واللطف هو الأخوة في الدين للمسلم والإنسانية لغيره من الناس مثلما استحقوا بكونهم بشرا العفو والصفح على زللهم وخطأهم وهو من طبيعة الإنسان .

ثانيا – ربط مصلحة الدولة بمصلحة الإنسان: قد ترى السلطة أحيانا أن مصلحتها تتعارض مع مصلحة الإنسان الفرد فتدخل في صراع معه لإحراز مصلحتها ولو على حساب مصلحة الرعية ، لكننا نجد في أحد كتب الإمام علي إلى احد عماله ما فيه تفضيل مصلحة الرعية وكانوا من أهل الذمة بعمارة نهر لهم على المصلحة المنظورة للدولة باستيفاء الخراج منهم ، جاء في كتابه عليه السلام إلى قرظة بن كعب الأنصاري : " **أما بعد فإن رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نهرا في أرضهم قد عفا وأدفن ، وفيه لهم عمارة على المسلمين ، فانظر أنت وهم ، ثم أعمر وأصلح النهر فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يُخرجوا ...** " [28].

ثالثا – ربط ظلم الإنسان بحرب الله تعالى : ثمة أثر سماوي يترتب على ظلم السلطة للإنسان يكشفه الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك إذ يقول : " ... **فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ واللَّه فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ وقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وابْتَلَاكَ بِهِمْ ، ولَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّه فَإِنَّه لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِه ولَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِه ورَحْمَتِه** ... " [29]. ويربط عليه السلام في النص نفسه بين ظلم الحاكم لعباد الله وبين خصومة الله تعالى فمن ظلمهم تعرض لخصومة الله : "... **ومَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّه كَانَ اللَّه خَصْمَه دُونَ عِبَادِه ومَنْ خَاصَمَه اللَّه أَدْحَضَ حُجَّتَه وكَانَ لِلَّه حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ ، ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّه وتَعْجِيلِ نِقْمَتِه مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّه سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ...** " .

رابعا : مرجعية الإنسان : يستفاد من بعض كلام الإمام علي عليه السلام أنه يعطي لعامة الرعية نوعا من المرجعية في تقويم أداء السلطة إذ يقول : " ... **ولْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ وإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ ...** " . ثم يقارن عليه السلام بين دور كل من العامة والخاصة من الناس تجاه السلطة والأمة فيبين أن للخاصة أثر سلبي في استقامة أمور الدولة بينما تقوم أمور البلاد على أكتاف العامة من الناس وبذلك استحقوا التقريب واعتبار رضاهم بمثابة المرجعية في تقويم الأداء . قال عليه السلام : "... **ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ**

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَئُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَه فِي الْبَلَاءِ وَأَكْرَه لِلإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ والْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعَهُمْ ... " [30].

ثم يضع عليه السلام معيارا اساسا لصلاح الأمة وطهرها وصحة مسيرها يتمثل في حال الضعفاء فيها ومكانتهم عند السلطة وتمكنهم من حقهم في ظلها قال عليه السلام : **" اجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيه شَخْصَكَ وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيه لِلَّه الَّذِي خَلَقَكَ وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (ص) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّه مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ والْعِيَّ ونَحِّ عَنْهُمُ الضِّيقَ والأَنَفَ يَبْسُطِ اللَّه عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِه ويُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِه ... "** [31].

الخاتمة :

من خلال ما تقدم يمكن بيان أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها من هذا البحث :

1. أسهم الإمام علي عليه السلام إسهاما فاعلا على مستويي التنظير والتطبيق في ردم الفجوة بين الراعي والرعية ومن ثم في تقديم الحل الأمثل لإشكالية الإنسان والسلطة .
2. اتخذ علي عليه السلام في حل هذه الإشكالية منهجا ثقافيا خاصا قوامه الاشتغال على المفاهيم الكامنة في الأذهان ومحاولة تغيير الصور التقليدية عن الإنسان والسلطة .
3. تضمنت عملية التغيير تكوين سمات وملامح جديدة للسلطة من شأنها أن تزيل الموانع التي تحول دون تقبل الرعية للسلطة بوصفها عنصرا ايجابيا في حياة الناس واجبه النهوض بأعبائهم والقيام بشؤونهم وتدبير أحوالهم .
4. أظهرت الصورة الجديدة للسلطة التي حرص الإمام علي على تقديمها للناس ضرورة السلطة والحاجة الماسة إليها وانه لا مجال لاستمرار الحياة من دونها إلا مع الفوضى وضياع المصالح والفساد .
5. قدم الإمام علي فهمه لغاية السلطة متمثلا بالحرص على إقامة الحق ودفع الباطل مما يعني أن أية غاية أخرى للسلطة تكون خروجا عن جادة الصواب إلى منزلق الطغيان والظلم والفساد .
6. حرص الإمام علي عليه السلام على تقديم سلطته في بعد أخلاقي يؤطر علاقة التعاطي مع الرعية بما يضمن رقي العلاقة الإنسانية بين الطرفين .
7. مثلت السلطة عند الإمام علي جهة أبوية للرعية يظهر ذلك من حرصها على مصالحها حتى في حالة وقوف فئة منها موقف العداء من السلطة ومعارضتها .
8. ليست السلطة عند علي مغنما أو طعمة بقدر ما هي أمانة لابد أن يتحملها الحاكم بإخلاص ونزاهة متجنبا شهوات النفس الأمارة بالسوء إلا ما رحم الله .
9. اشتغل الإمام علي من خلال خطبه وكتبه إلى عماله على دعم مفهوم الإنسان لديهم لأجل

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

ضمان أن يكون تعاطيهم مع الرعية بما يحفظ الحقوق والكرامات الإنسانية .

10. بين الإمام علي عليه السلام لبعض عمال أن طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم ينبغي ان تكون علاقة الرحمة والمحبة واللطف وعلى أساسها يجري التعاطي بينهما .

11. أضفى علي عليه السلام بعدا سماويا على علاقة الحاكم بالمحكوم وربط بين رضا الناس ورضا الله تعالى عادا ظلم الناس تعرضا من الوالي لحرب الله تعالى .

12. ربط الإمام علي بين مصلحة الدولة العليا ومصلحة الإنسان بما لا يترك مجالا للظلم الرعية واضطهادها بذريعة تحقيق المصلحة العامة .

13. أعطى الإمام علي عليه السلام للإنسان موقعا مرجعيا في تقويم أداء السلطة من خلال رضا العامة وسخطها على الحاكم

الهوامش

(1) سنان ، اشكالية المواطنة / الرعية ، ص ص 83 – 85 .

(2) ينظر مثلا : ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، 1 / 19 -20 ؛ اليعقوبي تاريخ ، 2 /131 ؛ الطبري ، 2 / 502 – 503 .

(3) القائل هو سعيد بن العاص الأموي والي الكوفة . الأصفهاني ، الأغاني ، 12 / 367.

(4) سنان ، اشكالية المواطنة / الرعية ، ص 80 .

(5) الليثي ، فقه الواقع في التراث السياسي الاسلامي ، ص50.

(6) البخاري ، صحيح ، 1 /215 .

(7) عارف ، التراث السياسي الإسلامي ، ص ص 85-86 .

(8)عارف ، التراث السياسي الإسلامي ، ص ص 85-86 .

(9) الكيالي ، موسوعة السياسة ، 3/ 215 .

(10) مفهوم الدولة ، ص ص 5-6 .

(11) الكيالي ، موسوعة السياسة ، 2/ 207 .

(12) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص427.

(13) نهج البلاغة ، صبحي الصالح ، ص429 .

(14) ينظر بهذا الشأن : الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص202.

(15) الكليني ، الكافي ، 2 / 45 ؛ العيني ، عمدة القارئ ، 1 / 109-110 .

(16) االبلاذري ، أنساب الأشراف ، ص371.

(17) سالم ، الاتجاهات الفكرية عند الإمام علي ، ص330.

(18) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص76.

(19) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص ص 380-381 .

(20) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص 49 .

(21) ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص44 .

(22) أسد الغابة ، 3 / 424 .

(23) مصقلة بن هبيرة بن شبل بن يثربي بن امرئ القيس بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط أبو الفضل البكري من وجوه أهل العراق كان من اصحاب علي بن أبي طالب وولي اردشير خرة ثم فر الى معاوية لانه فدى نصارى بني ناجية بخمس مائة الف فلم يردها كلها . ينظر ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، 58 / 269 .

(24) كورة كبيرة في بلاد فارس ومعنى اسمها بهاء اردشير وهو ملك من ملوك الفرس ، ومن مدنها شيراز وجور والصيمكان وسيراف وكازرون . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1 / 146 .

(25) اليعقوبي ، تاريخ ، 2 / 202 .

(26) الطبري ، 4 /54 ؛ ينظر مع اختلاف طفيف : السرخسي ، المبسوط ، 10/ 125.

(27) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص ص 427-428 .

(28) اليعقوبي ، تاريخ ، 2 / 202 .

(29) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص ص428-429.

(30) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص 429.

(31) نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ص ص 439-440

مصادر البحث ومراجعه

1 – ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ، (ت630هـ) : اسد الغابة في معرفة الصحابة ، انتشارات اسماعيليان ، (طهران – د.ت) .

2 – الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ) : الأغاني ، تحقيق سمير جابر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – 1986).

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

3 – الإمام علي بن أبي طالب (ت40هـ): نهج البلاغة ، شرح صبحي الصالح ، ط1 ، (بيروت – 1967م).

4 – البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت256هـ) : صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط2 ، دار ابن كثير ، (بيروت – 1987م).

5 – البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ) : أنساب الأشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت – 1974م) .

6 - الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت626هـ) : معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت، 1979م) .

7 - الدينوري ، أبو حنيفة احمد بن داود ، (ت282هـ) : الاخبار الطوال ، تحقيق عصام محمد الحاج علي ، دار الكتب العلمية، (بيروت ،2001).

8 – سالم ، رحيم محمد : الاتجاهات الفكرية عند الإمام علي ، مركز الشهيدين الصدرين ، (بغداد ، 2007م) .

9 - السرخسي ، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي (ت483هـ) : المبسوط ، دار المعرفة ، (بيروت ، 1406 هـ) .

10 – سنان ، برا : إشكالية المواطنة / الرعية في التراث السياسي الإسلامي ، المركز الديمقراطي العربي للنشر ، (برلين – 2016) .

11 - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ) : تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1407هـ) .

12 – عارف ، نصر محمد : التراث السياسي الإسلامي دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل ، تقديم منى أبو الفضل، ط1 ، المعهد المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، (فرجينيا – 1994م) .

13 – العروي ، عبد الله : مفهوم الدولة ، المركز الثقافي العربي ، (بيروت – الدار البيضاء- د.ت).

14 - ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت571هـ) : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت ، 1995م).

15 - ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت276هـ) : الإمامة والسياسة ، (منسوب) ، تحقيق طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، (القاهرة ، د. ت) .

16 - الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الرازي ، (ت 328/ 329هـ) : الأصول من الكافي ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية ، (طهران – د.ت) .

17 – الكيالي ، عبد الوهاب : موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت- د.ت) .

18 - الليثي ، مدحت ماهر ، فقه الواقع في التراث السياسي الإسلامي نماذج فقهية وفلسفية واجتماعية ، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، (بيروت – 2015م) .

19 - المنقري ، نصر بن مزاحم (ت212هـ) : وقعة صفين ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الأندلس ، (بيروت ، 2010م).

20 - اليعقوبي ، احمد بن اسحق بن جعفر بن وهب البغدادي (كان حيا292هـ): تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، (بيروت ، د.ت) .

DOI:10.18018/URUK/019-12/1488-1498

Abstract:

In this research, the researcher tries to identify the position of Imam Ali bin Abi Talib from this serious problem to the head of the Islamic Arab state (35-40), as well as the legacy of his intellect. Encompassing many aspects of intellectual life in his time.

The researcher assumes in this study that Imam Ali Ibn Abi Talib has contributed effectively in providing solutions to the problem of man and the power associated with the concept of the state and political philosophy according to a special cultural approach, his salvation trying to change the concept of power in the parish than it was before and strengthening the concept of man in the authority which would Bridging the gap between the two parties and extending bridges of communication by re-understanding each other.